التَّعليقُ

المُمتع عَلَى القَوَاعِدِ الأربع

الحَلَقَةُ الأُوْلَى

كَتَبَهُ:

أَبُو حَفْصٍ الأَزْدِيّ

(الحلقة الأولى)

التعليق الممتع على القواعد الأربع

كتبه:
أَبو حَفْصٍ الأَزْدِيُّ

مؤسسة أشهاد الإعلامية
١٤٣٩ للهجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي أرشد عقول أوليائه إلى توحيده وهداها، وثبت كلمة الإخلاص في قلوب أحبابه على أمواج الامتحان بسم الله مجراها ومرساها، وأعمى بصائر المنافقين لما أدبرت عن الدين فلم تجبه لما دعاها، فسبحانه من جبار عظيم لا يماثل ولا يضاهَى، فجل ربًا وعز ملكًا وتعالى إلهًا، أحمده سبحانه على نعمه التي لا تتناهى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من عرف مدلولها لما تلاها، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي بين كلمة التوحيد لفظها ومعناها، وجاهد عليها بلسانه وسنانه حتى أقرها وحمى حماها، اللَّهُمَّ صل على محمد، وعلى آله وأصحابه الذين عضوا على سنته بالنواجذ، وتمسكوا بعراها، وسلم تسليما كثيرًا»[1]. أما بعد...؛

فإن الإمام محمد بن عبدالوهاب ﵀ لما دعا للتوحيد وصدع به وبين ما يناقضه من الشرك وكفر أهله وجاهدهم باليد واللسان قام أولياء الشرك بإثارة الشبهات في وجه دعوته ومحاولة إبطال تكفيره لأهل الشرك في زمانه وقتاله، وكان مما يعجب له الناظر أن ممن خالفه وأثار الشبهات حوله من هو منتسب لأهل التوحيد وهو مقر بتقريرات الإمام فيه ولكنه يخالفه في تكفير أهل الشرك وقتالهم كما قال هو ﵀: «فلما اشتهر عني هؤلاء الأربع -الدعوة للتوحيد والنهي عن الشرك

---

[1] الخطب المنبرية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الثاني عشر) الباب: خطبة أيضًا (٥١/١).

وتكفير من وقع فيه وقتاله- صدقني من يدعي أنه من العلماء في جميع البلدان، في التوحيد، وفي نفس الشرك، وردوا على التكفير والقتال»[٢].

فألف في ذلك وصنف وأجاد وأبلغ ولم يدع لمخالف حجة يتعلق بها فرحمه الله رحمة واسعة ورفع درجته في عليين كما رفعه في الدنيا حتى جعله إمامًا للموحدين -وأنعم به من إمام-.

وكان من جملة ما خطته يمينه هذه الرسالة العظيمة القاطعة لأعناق المخالفين الهاتكة لأستار الملبسين والتي سماها «القواعد الأربع التي تميز المسلمين عن الكافرين»، وافتتحها بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، اسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركًا أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة»[٣].

ولسنا نطيل هنا في المقدمات ولكن نريد قبل الشروع في المقصود أن ننبه على أمر هو من الأهمية بمكان، بل وأقولها بمليء فيّ -لو لم يخرج القارئ إلا به لكفى!- وهو أنه لا خير في علم لا يتبعه عمل فقد روي عن أم المؤمنين عائشة ﵂ أنه كان يختلف إليها فتى فيسألها وتحدثه فجاءها ذات يوم يسألها فقالت: «يَا بُنَيَّ.. هَلْ عَمِلْتَ بَعْدُ بِمَا

[٢] مجموعة مؤلفات الشيخ: (٢٦/٥).

[٣] كتاب ثلاثة الأصول وشروط الصلاة والقواعد الأربع، باب القواعد الأربع: (٤١/١).

سَمِعْتَ مِنِّي؟، فقال: لا والله يا أماه!، فقالت: يَا بُنَيَّ، فَبِمَا تَسْتَكْثِرُ مِنْ حُجَجِ اللهِ عَلَيْكَ؟!»(٤)، وعند مسلم أن رسول الله ﷺ كان يقول في دعائه: «اللّٰهُمَّ آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خيرُ مَن زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها، اللّٰهُمَّ إني أعوذُ بك من علمٍ لا ينفعُ، ومن قلبٍ لا يخشعُ، ومن نفسٍ لا تَشبعُ، ومن دعوةٍ لا يُستجابُ لها»(٥)، فكان عليه الصلاة والسلام يتعوذ من العلم الذي لا ينفع!، قلت: ولا أعلم أنه ﷺ كان يتعوذ من الجهل مع شدة قبحه ومذمته؟!

ومن هنا أخي الكريم تفهم دعاء المصنف(٦) رحمه الله للقارئ في بداية هذه الرسالة بأن يرزقه الله ثمرة العلم من شكر النعم بالجنان واللسان والجوارح ومن الصبر على البلاء ومن المداومة على الاستغفار.. فتنبه لذلك فإن النفس تغر صاحبها وتوهمه أنه على خير وإن لم يعمل!!

---

(٤) ذكره الخطيب في اقتضاء العلم العمل برقم: (٨٧).

(٥) جزء من حديث، أخرجه مسلم؛ كتاب: الذّكر والدعاء، باب: التعوذ من شر ما عُمِل ومن شر ما لم يُعمَل، (٢٠٨٨/٤) برقم(٢٧٢٢)، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه والنسائي (٢٦٠/٨) في الاستعاذة، باب الاستعاذة من العجز.

(٦) فائدة: من بركة العلم أن طالبه يناله نصيب من دعاء العلماء الذي يدعون به للناظر في كتبهم ورسائلهم، ولا يخفى أن العلماء الربانيين هم أرجى الناس إجابة لدعائهم لما اختصهم الله به من وراثة النبوة ورفعة المنزلة حتى إنه ﷻ قرن شهادتهم بشهادته فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾! [آل عمران:١٨]؛ والإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كثير الدعاء في كتبه ورسائله لطلاب العلم فمن لزمها فإنه يرجى له أن يناله نصيبًا كبيرًا من هذا الدعاء.

ثم قال ﷺ: «اعلم أرشدك الله لطاعته: أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة.

فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفت أن أهم ما عليك: معرفة ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨]؛ وذلك بمعرفة أربعة قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه».

هكذا قدم المصنف بهذه المقدمة المتينة التي بين فيها التسلسل المنهجي الذي يوصل إلى نتيجة مهمة وخطيرة ألا هي وجوب تكفير المشركين وخطر السكوت عن شركهم أو الجهل به! ولذلك قال: «فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفت أن أهم ما عليك: معرفة ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة»، لا كما يقول البعض اليوم ناصحًا للموحدين -زعم!- دعوا عنكم هذه المسائل -أي مسائل التكفير- واقتصروا على تعلم مسائل الطهارة والصلاة ونحوها من مسائل الفروع ما لكم وللتكفير.. دعوه!، وما علم هذا المسكين أنه لا يكون توحيد

إلا بتكفير وأن التكفير أصل من أصول ملة إبراهيم كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]؛ قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله: «فمن تدبر هذه الآيات عرف التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، وعرف حال المخالفين لما عليه الرسل وأتباعهم من الجهلة المغرورين الأخسرين، قال شيخنا الإمام رحمه الله -يعني جده- في سياق دعوة النبي ﷺ قريشًا إلى التوحيد وما جرى منهم عند ذكر آلهتهم بأنهم لا ينفعون ولا يضرون وأنهم جعلوا ذلك شتمًا -قال الإمام محمد-: «فإذا عرفت هذا عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء! كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ...﴾ الآية [المجادلة: ٢٢]؛ فإذا فهمت هذا فهمًا جيدًا عرفت أن كثيرًا ممن يدعي الدين لا يعرفه!، وإلا فما الذي حمل المسلمين على الصبر على ذلك العذاب والأسر والهجرة إلى الحبشة مع أنه ﷺ أرحم الناس؟، ولم يجد لهم رخصة، ولو وجد لهم رخصة أرخص لهم! كيف وقد أنزل الله عليه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]؛ فإذا كانت هذه الآية فيمن وافق بلسانه فكيف بغير ذلك!»؛ يعني

من وافقهم بالقول والفعل بلا أذى فظاهرهم وأعانهم وذب عنهم وعن من وافقهم وأنكر على من خالفهم كما هو الواقع»[٧].

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب أيضًا مبينًا حقيقة هذه الملة "ملة إبراهيم": «**أصل دين الإسلام وقاعدته أمران**: **الأول**: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه. **الثاني**: الإنذار عن الشرك في عبادة الله والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله»[٨]، ومن هنا سميت ملة إبراهيم بـ"الحنيفية"! والحنف هو الميل والمقصود أنها ملة مجانبة للشرك مفارقة لأهله، وقال أيضًا ﷺ: «فالله الله إخواني تمسكوا بأصل دينكم أوله وآخره أسه ورأسه وهو شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها وأحبوا أهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم أو قال ما عليَّ منهم أو قال ما كلفني الله بهم.. فقد كذب هذا على الله وافترى!، بل كلفه الله بهم وفرض الله عليه الكفر بهم والبراءة منهم

[٧] الدرر السنية (جزء الجهاد/٩٣) وكلام الإمام محمد المنقول هنا تجده في رسالة مشهورة له بعنوان: مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (لرسالة الثانية: شرح ستة مواضيع من السيرة) (٣٥٥/١).

[٨] الدرر السنية في الأجوبة النجدية باب كتاب التوحيد (٢٢/٢).

ولو كانوا إخوانه وأولاده، فالله الله تمسكوا بأصل دينكم لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئًا.. اللَّهُمَّ توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين»[٩].

فإذا تبين لك ذلك، وعلمت أن التكفير أصل من أصول الملة، وأنه واجب على كل موحد إذ لا يستقيم له إسلامه إلا به، لا كما يزعم المرجئة اليوم من كون التكفير خاص بالعلماء دون غيرهم!، وهؤلاء نقول لهم: هل التوحيد وملة إبراهيم خاصة بالعلماء دون غيرهم أم أنها لازمة لكل أحد؟! إنما أوتيتم من قِبَلِ جهلكم بملة إبراهيم!! أقول إذا تبين لك ذلك، وعرفت أن المرء لا يستقيم له إسلامه إلا بتكفير المشركين وعداوتهم، وكنت تعلم أن الإنسان لا يحل له أن يقول في دين الله كلمة إلا بعلم، وأن الجاهل حقه التعلم ثم العمل، فإن المصنف رحمه الله يدلك هنا على أربعة قواعد تميز بها المشرك من المسلم لتكفر المشرك وتعاديه وتحب المسلم وتواليه، فعض عليها بالنواجذ فإن بها قيام دينك واستقامته.

والحمد لله رب العالمين.

وكَتَبَهُ:

أَبُو حَفْصٍ الأَزْدِيُّ

---

[٩] الدرر السنية (٢/١١٩).